شهداء على تفرد هذا الشاعر

أدلى أرباب البيان وأساطين اللغة وجهابذة الشعر بشهادتهم عن هذا الشاعر الفذ، معترفين بسموه وعبقريته وتفرده، يقول الواحدي إمام اللغة والتفسير، وأحسن من شرح ديوان المتنبي: «إن الناس منذ عصر قديم ولّوا جميع الأشعار صفحة الإعراض، مقتصرين منها على شعر أبي الطيب، ناسين عما يُروى لسواه».

وحسبك بهذه الشهادة من أستاذ باقعة في معرفة الشعر، آية في تذوق البيان، ولو ذهبت تفكر في مدلول شهادته لوجدتها صادقة، فإن شعر هذا الرجل صار سمر الأدباء، ونشيد المسافرين، وسلوة الناس في مجالسهم ومذاكرتهم، وما رأيت عالمًا جهبذًا، ولا أديبًا لامعًا بعد المتنبي، إلا وقد استشهد بشعره، وردد أبياته.

وقال العكبري: «ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شرح مثل هذه الشروح الكثيرة، ولا تدوول في ألسنة الأدب من نظم ونثر أكثر من شعر المتنبي». وهذا كلام يشهد له الواقع، فقد غرقت أقلام الباحثين في دراسة شعره، واستخراج درر بيانه، والغوص في أعماق نتاجه، وهذا هو الشيوع والذيوع.

ويقول أبو بكر الخوارزمي: «إن المتنبي أمير شعر العصر، ولو لم يكن له إلا قوله:

أرَى كُلَّنا يَبْغِي الحياةَ لنفسِهِ ... حريصًا عليها مستهامًا بها صَبَّا

فُحُبُّ الجبانِ النفس أوردَهُ البقا ... وحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفسَ أورده الحرْبَا

لكفاه».

وقد وصفه المستشرق «غوث» بشاعر العرب الكبير، ويقول كاتب العربية مصطفى صادق الرافعي في مجلة المقتطف: «إن هذا المتنبي لا يفرغ ولا ينتهي؛ لأن الإعجاب بشعره لا ينتهي ولا يفرغ، وقد كان نفسًا عظيمة خلقها الله كما أراد، وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت، فكأنما جعلها بذلك زمنًا يمتد في الزمن، وكان الرجل مطويّاً على سر ألقى الغموض فيه من أول تاريخه، وهو سر نفسه، وسر شعره، وسر قوته».

وقال الربعي: «كان يقرأ ديوان المتنبي على النحاة والأدباء حرفًا حرفًا، ويروونه عن بعضهم، وقد ضُبِط الديوان على المتنبي، وصحح عليه، وما ذاك إلا لعظم هذا الشعر وتفرده».

وقال ابن العديم في بغية الطلب: «وكان أبو الطيب شاعرًا مشهورًا مذكورًا محظوظًا من الملوك والكبراء الذين عاصرهم، والجيّد من شعره لا يجارى فيه ولا يلحق».

وترجم له ابن عساكر المؤرخ المشهور، ومجد شعره، وأثنى على حكمه. وشرح ديوانه ابن جني بكتاب سماه «الفسر» وكتاب «اللامع العزيزي»، و«معجز أحمد» لأبي العلاء المعري، غاص فيه على درر المتنبي، وشرح ديوانه الواحدي بشرح مجيد فريد في بابه، هو أمتع الشروح وأنفعها.

وشرح ديوانه التبريزي في كتاب «الموضح» ودرس شعره أستاذ البلاغة عبدالقاهر الجرجاني، وتكلم عن شعره أبو منصور السمعاني، والعالم الإفليلي، والأديب أبو الحجاج الأعلم، وعلق على شعره عبدالرحمن الأنباري. وكتب

الحسن بن محمد بن وكيع كتاب «المنصف» تناول ما للمتنبي وما عليه، ومثله وأحسن منه كتاب «الوساطة» للقاضي علي الجرجاني، وشرح ديوانه أبو البقاء العكبري وكتب عنه أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي المشهور، وكذلك عبدالواحد بن محمد بن علي بن زكريا، ومحمد بن علي الهراسي الكافي، وأبوالحسن محمد بن عبدالله الدلفي، وكمال الدين الواسطي، وغيرهم كثير. وعقب على شعره أساطين البيان ورواد اللغة، كأبي بكر الخوارزمي، وعبدالرحمن بن دوست النيسابوري، وأبي الفضل العروضي، وابن فورجه في كتاب «التجني على ابن جني»، وكتاب «الفتح على أبي الفتح»، ومعاني أبياته لابن جني، والتنبيه للرَّبَعي. وكتاب «قصائد المتنبي» للأعلم الشنتمري، وكتاب «نزهة الأديب في سرقات المتنبي من حبيب» لحسنون المصري، وكتاب «الانتصار المنبي عن شعر المتنبي» لأبي الحسن المغربي، و«التنبيه المنبي على رذائل المتنبي» لأحمد المغربي، وبقية «الانتصار المكثر من الاختصار» للمغربي أيضًا، و«الرسالة الحاتمية» لأبي الحسن الحاتمي، وكتاب «جبهة الأدب» للحاتمي أيضًا، وكتاب «المآخذ الكندية من المعاني الطائية»، و«الاستدراك على ابن الدهان» لابن الأثير الجزري، وكتاب «الإبانة» للصاحب العميدي.

وقال ياقوت الحموي: «ولم نسمع بديوان شعري في الجاهلية ولا في الإسلام شرح هكذا بهذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان، ولا بتداول شعر في أمثال أو طُرف أو غرائب على ألسنة الأدباء في نظم أو نثر أكثر من شعر المتنبي».

وترجم له المقريزي في كتابه «المقفى» ترجمة طويلة، وأورد من روائعه شيئًا كثيرًا، وترجم له الذهبي مؤرخ الإسلام، وأشاد بشعره، وذكر سيرته ابن كثير ونوه

بنبوغه، وأما المفسرون بعد المتنبي فنشروا شعره في تفاسيرهم، وبدعوا في الاستشهاد بأدبه، وأكثَرَ أهل اللغة والأدب من دراسة شعره ما بين مادح وقادح، وكتب عنه في كل مجلة أدبية، وتحدث عنه في كل مَحْفَل شعري، بل خصص له حفل كامل باسمه، وعقدت له ندوات خاصة، وأقيمت أمسيات لأبي الطيب وحده، وأعدت دراسات عنه وعن شعره، وقدمت رسائل في الماجستير والدكتوراه عن هذا الشاعر العظيم، وضَمَّنَ الشعراءُ بعده شعره في قصائدهم، واكتسبوا منه، ومدحوه بقصائد كاملة، واستشهد الخطباء بأبياته على المنابر، وفي المحافل، وقُرئ ديوانه في مجالس العلماء، ومنتديات الأدباء، وذيَّل الحكماء رسائلهم بشعره، وصَدَّر الوزراء والأمراء والكتَّاب خطاباتهم بأبياته، وترجم شعره إلى اللغات الحية، وأقيمت مسرحيات باسم المتنبي، واختصر ديوانه، ومنهم من جمع حكمه، ومنهم من شرح شواهده، ومنهم من أفرد روائعه، ومنهم من درس جانبًا من جوانب شاعريته، ومنهم من رد عليه وعارضه، ومنهم من طارحه وجاراه، ومنهم من ألف في معاناته، ومنهم من فضله على كل شاعر، ومنهم من فضل كل شاعر عليه!!

وشرح شعره وشَكَّل ابن سيده على بن إسماعيل وجمع معظم شروح شعره عبدالرحمن البرقوقي، وما له وما عليه، وشرح ديوانه بالفارسية المحببي محمد أمين بن فضل الله بعنوان «محبي شرح ديوان متنبي» وطبع بالهند وشرحه مولانا عبدالله العبيدي بعنوان «تصويب البيان في شرح الديوان» وهو شرح بالأوردية، وهجم على شعره الصاحب بن عباد بعداوة مكشوفة في كتابه «الكشف عن مساوئ المتنبي» وأغار على شعره ابن وكيع بمؤلف سماه «المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره» وهو أبعد ما يكون عن الإنصاف،

وكتب الصاحب بن عباد رسالة ثانية بعنوان «الأمثال السائرة مِن شعر أبي الطيب المتنبي» فيها اعتدال وإنصاف. وترجم للمتنبي الأديب البارع أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر ترجمة وافية كافية شافية ضافية، وألف أبو القاسم الأصبهاني كتاب «الواضح في مشكلات شعر المتنبي» ونقل عنه عبدالقادر البغدادي في «خزانة الأدب»، وفيه عداوة وتحايل على المتنبي.

وقد جمع ما تفرق من أخبار المتنبي عبدالله الجبوري في كتاب «أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين»، وألف عنه محمود محمد شاكر كتابًا ذائعًا شائقًا عجبًا بعنوان «المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» وهو من أجمل الكتب في بابه وأجلها وأحسنها. وكتب عنه عبدالوهاب عزام كتاب «ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام»، وشرح ديوانه في ألمانيا المحدث الكبير تقي الدين الهلالي.

وكتب عنه طه حسين كتاب «مع المتنبي»، وبحث في شعره جمع من الأدباء والمؤلفين، كجاسم محسن عبود، ومارون عبود، وشوقي ضيف، ومحمد عبدالرحمن شعيب، ومصطفى الشكعة، وعصام السيوفي، واليازجي وغيرهم.

وأكثر الشعراء المعاصرين مدحوه بقصائد أو أبيات ودبَّجوا قصائدهم ببعض جمله وأبياته وحكمه.

وكتب عنه فريق من المستشرقين وأدباء الغرب.

وقال كوركيس عواد: «كتب عن المتنبي دراسات فرنسية، وإنجليزية، وإسبانية وألمانية، وإيطالية، ولاتينية، وروسية، وبولندية).

وقد درس ديوان المتنبي المستشرق بلاشير في أطروحته «أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي» ترجم إبراهيم الكيلاني جزءًا منها وترجم الجزء الآخر أحمد أحمد بدوي.

ودرس المتنبي عمدة المستشرقين «سلفستر دو ساسي» وأولى شعره عناية فائقة وأبرز مؤلفاته عن هذا الموضوع «المنتقيات العربية» وجمع دراساته في كتاب سماه «الأنيس المفيد للطالب المستفيد، وجامع الشذور من منظوم ومنثور».

وكتب عنه المستشرق «دولا كرانج» كتابًا بعنوان «نخب الأزهار في منتخبات الأشعار».

وتحدث عن أبي الطيب المستشرق «شلومبرجر» وأبرز القيمة التاريخية لشعر المتنبي. أما «ماسينيون» فقد عرض في كتابه «عناصر إسماعيلية في شعر المتنبي» وقال: «بأن المتنبي باطني إسماعيلي» وقد جانب في ذلك الصواب، وركب الصعاب، وأخطأ في الجواب، ومن أكثر المستشرقين عناية بالمتنبي «بلاشير» لأنه درس حياته وشعره، ونذر شطرًا من عمره لبحث أدب هذا الشاعر.

وكان «أندريه ميكال» في كتابه «المتنبي شاعر عربي: بعض التأملات» من أكثرهم دقة وتحريرًاوضبطًا، ولم يقلد غيره في التعصب والتحامل.وكتب عن أبي الطيب الكاتب الألماني «رايسكه» بحثًا بعنوان «مختارات من الشعر العربي، غزليات ومراث من ديوان المتنبي».

وكتب «هامر» النمساوي كتاب «المتنبي شاعر العربية الأكبر». وقد ترجم ديوانه كاملًا إلى الألمانية.

ومن أجمل من درس أراء المستشرقين ودراساتهم عن المتنبي الدكتور حسن الإمراني في كتابه «المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين».

وما زالت الدراسات والبحوث، والندوات، والمحاضرات، تكتب وتقام وتعقد في شعر هذا الرجل وأدبه، ولم أجد شاعرًا عند العرب قديمًا وحديثًا وجد حظوة عند الناس كما وجد هذا الشاعر، وهو عند العرب في الشعر كشكسبير عند الإنجليز، ويمكن جمع مكتبة كاملة فيما قيل فيه من شعر ونثر وشرح ومقالات وبحوث وكأنه يقصد نفسه بقوله:

إذا تَغلغلَ فِكْرُ المرءِ في طَرِفٍ ... من مجدِهِ غَرقتْ فيه خواطرُهُ

أو كأنه المقصود بقوله:

هو الجَدُّ حتى تفضُل العينُ أختَها ... وحتَّى يصيرُ اليومُ لليومِ سيّدا

obeikandl.com